«الإخوان»... جائحة الإسلام السياسي

■ محمد ح. الحاج

«الإخـوان» تنظيم دولـي نشـأ على غـرار «الأخـويـات» الماسونية في العالم، لكنها «أخوية» تستظلّ راية الإسلام على قواعد لا علاقة لها البتة بالإسلام، وكان ظهورها الأول في بريطانيا لتؤسّس لموقعها في مصر وتنتقل منها إلى دول المنطقة على التوالي، ثم وبسبب سلوكها العدوانيّ وارتباطاتها الخارجية لوحقت خلاياها في مصر، وتباعاً إلى دول أخرى، ليتركز نشاطها في مملكة آل سعود وبعض مشيخات الخليج العربي وإماراته، لكن انتشارها لم يقتصر على الدول العربية، إذ نشأت أشدّ الفروع تعصّباً في الدول التي كانت مستعمرات بريطانية وأهمّها باكستان والهند وأفغانستان برعاية بريطانية وتمويل سعودي وخليجي.

بريطانيا التي كانت تهيمن على غالبية بقاع العالم الإسـلامي، عملت على خلق جماعات ترتبط بها وتخدم مصالحها على المدى البعيد، حتى بعد خروجها من تلك المناطق، وكان الساسة البريطانيون يدركون أنّ عمليات الاستعمار والاحتلال لن تدوم إلى الأبد. السياسة البريطانية التي اعتمدت مراكز البحوث ودراسـات المستشرقين هي التي اكتشفت وشجعت محمد بن عبد الوهاب الوهيبي الذي اعتمد مذهب ابن تيمية في التكفير والكراهية، وهكذا بعثت اليهودي البريطاني – الماسوني هيمفر ليعلن أنه مؤمن بأفكار بن عبد الوهاب، ثم ليطوّر تلك المفاهيم ويضعها في القالب الذي يخدم مصالح الماسونية العالمية قبل ظهور الصهيونية بزمن طويل (1727 – 1733)، وليدفعه لاحقاً بتوجيهات بريطانية سرية إلى الانتقال إلى الدرعية حيث بداية آل سعود ودعوته لهم لتبنّي مذهبه واستخدام فتاواه مطية تبرّر غزوهم القبائل الأخرى وسببَها قتل رجالها الذي يرفضون الالتحاق بهم وإعلان الولاء لهم، وهكذا وقبل نهاية القرن وصلت طلائع الدرعيين (آل سعود إلى جنوب دمشق، وشرق حمص وقطعوا طرق الحجيج السوري والمصري وما تلا ذلك من حملات محمد علي باشا بقيادة أبنائه حتى أعادهم إلى نقطة انطلاقهم 1813)، وبقي التبنّي البريطاني لهم قائماً، مستثمرين أشراف مكة في حربهم ضدّ السلطنة العثمانية، ودفع آل سعود إلى واجهة الجزيرة العربية ثانية، ثم أعادوا هيكلة «الإخوان» تحت شعار جديد، إذ تأسّس محفلهم تحت الرعاية البريطانية، وكان مرشدهم الأول رئيس المحفل المصري حسن البنا الذي أقام أوثق العلاقات مع آل سعود الذين لمع نجمهم من جديد وانتقل ولاؤهم إلى السيد الجديد، الأميركي، بعدما بدأت تغيب الشمس عن الإمبراطورية البريطانية.

تبنّت الولايات المتحدة الأميركية آل سعود وكانت أول من اعترف بمملكتهم في النصف الأول من القرن العشرين (1937) بعد اتفاقيات سرية وقعت على ظهر طرّاد أميركي بين عبد العزيز آل سعود والرئيس الأميركي، وأبعد النفوذ البريطاني رغم الارتباط الوثيق بين المملكة العجوز والدولة الأميركية التي كان يصعد نجمها. وعلى خلفية الصراع السرّي تبنّت بريطانيا إنشاء تنظيم «الإخوان» في مطلع الأربعينات إنما على قواعد المحفل نفسها لضمان التبعية التامة لهؤلاء (المرشد العام بدلاً من الحاخام الأعظم) واستخدامهم في خدمة المصالح البريطانية، وظهر ذلك جلياً في موقفهم العدواني من عبد الناصر – القائد العربي الذي تمرّد على عالم الغرب، وتعرّض لاحقاً لعدوان كبير بهدف إسقاطه واستعادة مصر، ولم تقف الولايات المتحدة مكتوفة اليدين حيث أصـدرت إنذارهـا المشـهور لدول العدوان الثلاثي بالانسحاب، لاكتساب مصر وظهور أميركا على أنها الدولة المدافعة عن حرية الشعوب المستعمَرة (بفتح الميم). ورغم النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة اقتضت ظروف المنطقة والعالم انصياع الدول الثلاث، لكن اللعبة لم تنطل على الرئيس ناصر الذي اتجه شرقاً من الوجهة العسكرية – التسليحية، وحاول بالتعاون مع قادة آخرين (تيتو – سوكارنو – نهرو) وأطلق الدعوة إلى انعقاد مؤتمر باندونغ لإقامة عالم جديد – غير منحاز إلى أيّ من طرفيْ الحرب الباردة العالمية (الشيوعية والرأسمالية). لم يرض ذلك الغرب، ما دفع بتنظيم «الإخوان» إلى اتخاذ موقف عدواني على المكشوف إزاء حركة التحرّر في البلاد العربية، خاصة في مصر.

> تنظيم «الإخوان المسلمين» وليد السفاح الماسوني. الوهابي فهل يتخلّى عنه الغرب أم يخاف تهديداته؟

الخلافات الشكلية بين الوهابية، و«الإخوان المسلمين» على اختلاف مسمّياتهم لم تفسد العلاقات الجذرية بينهما، وكلا التنظيمين يستمدّ توجهاته ويؤطر تحركاته استناداً إلى مقرّرات المؤتمر الماسوني العالمي الذي يعمل منذ نشأته على تحقيق ما ورد في بروتوكولات خبثاء اليهود (حكماء صهيون)، وإذ يؤمن هؤلاء بأنهم «شعب الله المختار»، يؤمن الوهابيون و«الإخـوان» بأنهم «الفرقة الناجية من النار»، وإذ يعتبر اليهود أنّ الغوييم (الأغيار) مجرّد مخلوقات شبيهة بهم، خلقت لخدمتهم وأنّ من حقهم وضع حدّ لحياتهم وإرسالهم إلى النهاية من دون أن يكون ذلك جريمة في حق الإنسانية ولا خطيئة يحاسبون عليها، لأنهم لا يعتبرونهم أصحاب نفس إنسانية، يعتبر «الإخوان» والوهابيون أنّ من ليس على مذهبهم هو كافر، يحلّ قتله والاستيلاء على ماله وسبي نسائه وأطفاله. المعايير واحدة وإنْ اختلف التوصيف، وهنا المفارقة في موقف عالم الغرب (صيف وشتاء تحت سقف واحد) فالعقيدة الغربية تقف ضدّ نفسها فتعتبر اليهود أنهم شعب الله المختار، وأنّ سلوكهم العدواني يندرج تحت شعار الدفاع عن النفس. الموقف ذاته لناحية السلوك العدواني – اللا أخلاقي للوهابية و«الإخوان» تجاه شعوبهم وأبناء عقيدتهم، وبلغت حدود الوحشية المطلقة المنفلتة من عقال الأخلاق والشعور الإنساني (الذبح والتقطيع وأكل الأكباد والقلوب وبقر بطون النساء)، ما أشعر الغرب، خاصة على مستوى الشعوب، بالرهاب والخوف من ارتدادهم على من تبنّاهم وأوجدهم ووفر لهم الحماية والرعاية على مدى قرن من الزمن، خدمة لمصالح لم تعد مقبولة في الألفية الجديدة. وإذا كانت غاية الغرب ترمي إلى إظهار العالم الإسلامي على هذه الصورة لاستمرار عمليات النهب والسيطرة وتبعية هذا العالم وتخلّفه، إلاّ أنّ التداعيات وانفلات هذه التنظيمات المتوحّشة من عقالها، يهدّد الغرب في عقر داره، يدفع حكماً إلى موقف جديد لإعادة الحسابات، مثل صاحب حظيرة من الحيوانات المفترسة أصابها مرض الكلب فخرجت على قواعد سلوك الطاعة واقتربت أو هي بدأت بقتل صاحبها.

الموقف السعودي – الوهابي باعتبار «الإخوان» تنظيماً إرهابياً أملته ظروف دولية (الإمارات العربية سبقت السعودية في استشراف الخطر) لكنه لم يرق إلى موقف حقيقي يعالج التنظيم الأم. وهي محاولة لقطع فرع من شجرة عفنة – عملية تجميل – فجذور هذه الشجرة الماسونية العالمية وفروعها: الصهيونية، الوهابية، «الإخوان»، أما الأغصان الأخرى ومنها «القاعدة» ومتفرّعاتها فهي حطب المحرقة.

بريطانيا، الأرض الخصبة التي نمت عليها الشجرة السامة تعيد النظر، وقد تصدر قراراً يعتبر «الإخوان» تنظيماً إرهابياً، إذ تتعرّض لتهديدات «الإخوان» بأنها ستكون أرض التفجيرات والفوضى التي صدّرتها إلى أنحاء العالم كله، وخاصة الإسلامي منه، في باكستان، والهند، والبنغال، وأفغانستان والشيشان، وأخيراً في الجانب العربي في العراق ومصر والشام ولبنان وفلسطين وأماكن أخرى. هذه النار تخرج اليوم على السيطرة لتشكل جائحة عالمية تهدّد أمكنة ولادتها ورعايتها ومناطق تدريبها. «الإخوان» أسفروا عن وجههم الحقيقي وتكشفت نواياهم... سقطت ورقة التوت، ما قد يدفع إلى قيام تحالف دولي – عالمي لمكافحتهم والقضاء عليهم، وهو مطلب سوري، وطني، قومي بامتياز يخدم الإنسانية ويحفظ للإسلام الحقيقي وجهه المشرق المتسامح، ويبتعد بالمسيحية عن سيطرة الصهيونية – الماسونية الهادفة إلى السيطرة على العالم وثرواته وحضارته... فهل من مستجيب؟

هامش: عجبي لمقرّر دراسي في بعض دولنا يقول إنّ الحركة الوهابية حركة إصلاحية، إلخ! أين وجه الإصلاح في حركة ترسّخ مفاهيم القتل والتخريب والتكفير وتهدم بنيان المجتمعات الحضارية؟!

الوقت الضائع... والمسرحية الانتخابية

■ د. سلوى الخليل الأمين

نتباهى بوطننا الجميل لبنان المزيّن بالشعارات الرنانة عبر العصور، فهو بلد الحب والجمال والعشق الإلهي، إذ حباه الله بطبيعة خلابة، وغنى في الثقافة والفكر، وأبدع على مر التاريخ فنانين وكتاباً وشعراء عظاماً حلقت يراعاتهم عبر العالم العربي والغربي، حاملة هذا الوطن الصغير إلى المساحات العالمية العريضة. إبداعات متنقلة مزهوّة بنبضات العقول، رفعته إلى مراقي اللمعات السماوية التي تشع ضياء ونهضة مشرقة عبر كل الزمن المتبدل والمتغير باستمرار، لذا أطلق عليه الوصف المكتمل بعبارات : لبنان وطن الإشعاع والنور.

أين نحن اليوم من النور والإشعاع في ظل حكم يترجرج يمنة ويسرة، ويحدق إلى مرايا المسارات المتقلبة على الدوام، إذ لا يجد له ممراً أو مستقراً، في حين نرى أبناءه صماً بكماً لا يدرون ماذا يفعلون، فإراداتهم وضعت في صقيع ثلاجات صنعت خارج لبنان، لذا هم الصامتون دائماً وأبداً، المتفرّجون على مسارات الانتخابات الوهمية التي تطلق باسمهم، وتوقع عنهم، وتعيّن وكلاء في مجلس النواب لا يمثلون الشعب المسكين الذي يستغبوه لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد والتمديد، حتى إذا حدث ما ينذر بأخطار الدروب، تذرعوا بالمعوقات المستجدة، فمدّدوا لأنفسهم من دون سؤاله رأيه!

نحن اليوم في ظلال هجمة لا تحمد عقباها على مقام رئاسة الجمهورية لاختيار رئيس جديد للبلاد ما زال اسمه طيّ الكتمان، حتى يقضي الآخرون أمراً كان فاعلاً أو مفعولا. ساعتئذ يشعل الضوء الأخضر الذي يسمح بمرور الإسم المتفق عليه خارجياً، ويعلن للجميع صاحب الحظ السعيد الذي سيكون رئيس جمهورية لبنان المقبل! إلاّ إذا حدث ما لم يكن في الحسبان من حسابات التضادّ بين الأفرقاء المتناحرين داخلياً وخارجياً، ساعتئذ يكون الفراغ الرئاسي سيّد الموقف!

هنا تتجلّى عملية الديموقراطية الزائفة التي يرسمها نواب الأمة في أذهان الناس، حيث يتم تركيز الصورة على النحو المطلوب، وإظهارها في عملية انتخابات مكشوفة المضامين والمعايير، بات الشعب برمته لا يصدق مجرياتها، المخوّلة زوراً وبهتاناً اختيار من هو صالح لقيادة السفينة التي بدأت في الغرق!

السؤال المهم الذي يجول في الأذهان، والذي هو مدار بحث ولغط بين الناس واللغط بجميع اتجاهاتهم وارتباطاتهم الثقافية والفكرية والسياسية والاجتماعية التي اختلطت مفاهيمها بالضغوط المعيشية المضنية التي يئن منها المواطن، والتي لم يحسن المسؤولون إدارتها وإيجاد الحلول الوطنية الصائبة لها. كيف للمواطن الاستمرار في وطن أصبح مواطنوه تحت خط الفقر الأدنى، إذ باتت سائر القطاعات الشعبية في الشارع تطالب بإعتاقها من حيتان المال وجهابذة الإقطاع السياسي والاقتصادي، الذين يأكلون تعب الفقير والموظف والعامل، ويفرغون الوطن من قدراته الشبابية عبر خطط مركزة ومحضرة سلفاً غايتها خطف الوطن من أبنائه الخلص الأوفياء، بهدف إغراقه في الجحيم من خلال توجهات خارجية واضحة وصريحة لا تنظر إلى مصالح الناس وطرائق عيشهم بل إلى المواقع السياسية المطرزة باتجاهات ومعايير مختلفة، هدفها الأوحد تنفيذ الخطط الآتية من خلف الحدود، بلا أي اعتبار لمصالح الناس وطرائق عيشهم، رغم أن الناس هم الشعب الذي يمثل الوطن والأرض والسيادة والكرامة والحرية، وهذا الأمر يدركه المسؤول حتماً، فالشعب في النظم الديموقراطية هو مصدر السلطات.

لكن أين الشعب اللبناني مما يحصل اليوم على الساحة اللبنانية، فالترشيحات لمقام رئاسة الجمهورية قائمة على قدم وساق! كل فريق يعلن أن لديه مرشحاً، ومن لديه الطموح اللامعقول يقدم ترشيحه بغض النظر عن تاريخ مظلم لا يقبل به العديد من اللبنانيين، إضافة إلى كتل نيابية تتبنى مرشح في العلن، وفي السر تطعن في الظهر. أضف إلى ذلك المرشحون الدائمون الذين تطرح أسماؤهم بشكل دائم إظهاراً لتحريك اللعبة الديموقراطية الخفية والضبابية في الوقت نفسه. هذه المسرحيات الهزلية في الوقت الضائع يسخر منها معظم المواطنين الذين على يقين من أن كلمة السر تأتي من خلف الحدود، وأن ما يدور في كواليس السياسيين ليس سوى بازارات تهدف إلى تأمين مستقبلهم ومستقبل أولادهم بالتي هي أحسن.

يبقى الشعب في ساحات طرابلس والبقاع في المنقلب الآخر، ففي طرابلس زجّوه في حرب «داعش والغبراء»، مستغلين الفقر المدقع الذي حوّل الشبّان إلى عصابات إرهابية تكفيرية، وبلحظة فتية انتهى سريان الدم السابح في الحارات كافة، ودارت القبل بين الناس العزل الأبرياء، ودخل الجيش مظفراً، وهرب أركان المحاور تحت نظر اللبنانيين بمختلف فئاتهم وتطلعاتهم وإنتماءاتهم، الذين أصبحوا على بيّنة من تلك المسرحية المركبة، المحّركة بأصابع بهلوانية خفية، ترسم مسارات الدروب في ليالي الغفلة، بغض النظر عن استفتاء إرادتهم حول من يستحق مركز الرئاسة، التي يجب أن يكون مستحقها عالماً بأحوال الناس وفقرهم، وممتلكاً الإرادة الصلبة لبناء وطن قوي بمثقفيه وفنانيه وموظفيه الأكفاء واقتصادييه الأنقياء وإعلامييه الأحرار ونوابه المستحقين وكالة الناس، كي لا يدفع هذا الوطن في الوقت الضائع... الثمن الصعب.

هستيريا الانتقام واستراتيجية الانتصار

■ د. حسن أحمد حسن*

الأمر الطبيعي أن تكون الصورة أكثر وضوحاً بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات على حرب مفتوحة واجهتها الدولة السورية، وأثبتت أنها بحق دولة قادرة على الصمود والدفاع عن مقوّمات سيادتها بغض النظر عن حجم التهديدات وقدرات الأطراف المشاركة في عدوان تجاوز مرحلة المؤامرة وانتقل بها إلى حيز التطبيق الفعلي لما تم تخطيطه وإعداد العدة لتنفيذه على أرض الواقع، وجاءت المواجهة الميدانية لتثبت صحة المواقف السورية وتفضح زيف كل ما تمّ تسويقه ضدها بالاعتماد على إمبراطوريات إعلامية فقدت بريقها بفضل الصمود السوري الذي ترك تداعياته النوعية وعلى مختلف الصعد والميادين السياسية والعسكرية والدبلوماسية، فقلّة هم الذين كانوا يتوقعون أن تتخلى وواشنطن و«تل أبيب» عن أبرز المحسوبين عليهما في المنطقة: زين العابدين بن علي وحسني مبارك، لكنهما فعلتا ذلك كأن شيئاً لم يكن، وقلة قليلة كانت تحسب أن واشنطن وأتباعها سيتفرجون على محمد مرسي وجماعة « الإخوان المسلمين» وهم يقبعون وراء القضبان بعد وصولهم إلى السلطة وتبنيهم سياسة الإذعان المطلق والاستعداد التام لإحراق المنطقة، تنفيذاً لما ورد في مشروعي « الفوضى الخلاقة» و«الشرق الأوسط الجديد» بحدوده المرسومة وفق خريطة حدود الدم التي ابتكرها تفكير الكاو بوي الهوليوودي، وبخاصة بعدما تبين أن «أخونة» المنطقة هي البوابة الأوسع والأنسب لاجتياحها عبر أعاصير «الربيع العربي» وأن تنظيم «الإخوان المسلمين» هو حصان طروادة القادر على نقل متطلبات النخر والتقويض إلى داخل أسوار الدول وتهيئة المناخ المناسب أمام الفكر الوهابي التكفيري ليعصف بجغرافية دول المنطقة وديموغرافيتها في آن معاً، وفي الوقت نفسه قلّة كانت تظن أن الدولة السورية تستطيع الصمود في مواجهة حرب شبه كونية لأكثر من أسابيع، وفي أفضل الأحوال لأشهر قليلة، علماً أن الحرب التي واجهتها دمشق على امتداد ثلاثة أعوام ونيف هي حرب مركبة ولم تشهد لها البشرية مثيلاً، فهي حرب تقليدية وحرب عصابات وشوارع، وحرب عسكرية وسياسية واقتصادية ودبلوماسية واستخباراتية ومعلوماتية، حرب يشترك في قوام جيوشها المهاجمة المكون الداخلي والإقليمي والدولي، ووقودها الرئيس من حملة الفكر التكفيري ورعاة الإرهاب الممنهج برعاية من يدعي محاربة الإرهاب، ورغم من ذلك كله استطاعت سورية الصمود وأثبتت للعالم أجمع إمكان مواجهة الإرهاب والقضاء عليه عندما تتوافر الإرادة وعوامل القوة الذاتية والموضوعية، فكيف استطاعت سورية فعل ذلك؟ وما سر إخفاق أطراف التآمر والعدوان في تفتيت الدولة السورية كغيرها من الدول التي اجتاحها زلزال «ربيعهم» المزعوم؟ وهل يمكن البناء على الصمود الأسطوري لسورية في كسر العاصفة، وتغيير اتجاهها، والتأسيس لمرحلة جديدة عنوانها الأبرز: إعادة رسم مستقبل المنطقة وفق إرادة شعوبها المتناقضة بالضرورة مع إرادة قوى العدوان وبسط السيطرة والنفوذ على منطقة تحتل الصدارة في استراتيجيات جميع القوى الفاعلة على الساحة الدولية؟

في اختصار شديد يمكن القول: إن الإعصار الذي بدأ بتونس وامتد إلى مصر وليبيا لم يكن إلاّ المقدمة الموضوعية المطلوبة لتهيئة البيئة الاستراتيجية للانقضاض على سورية، لأنها عقدة العقد في طريق استباحة المنطقة، وطالما أنها رفضت التخلي عن ثوابتها فإن الانتقام منها أصبح ضرورة غير قابلة للتأجيل لأن مرور الوقت يعني تبلور صحة الموقف السوري أكثر فأكثر، وهذا يعني تجذير نهج المقاومة الكفيل بسحب البساط من تحت أرجل اللاعبين الإقليميين والدوليين، وبخاصة بعد اهتزاز صورة أميركا وولايتها المدللة» إسرائيل» التي لم تعد قادرة على الاستمرار والحفاظ على وجودها إلاّ بدعم أميركي وأوروبي و»أعرابي» مباشر، وهذا الواقع الجديد يحمل الكثير من التحديات التي تفرض نفسها أمام مصالح أحباء حكام «تل أبيب»، فكان لا بد من تغيير الواقع بشكل جذري، وبغض النظر عن حقيقة الحراك الشعبي في الدول التي اجتاحها إعصار التغيير تحت عنوان «الربيع العربي» وعدم الاستهانة أو التخفيف من الزخم الشعبي المطالب بالتغيير إلاّ أن النتائج تؤكد أن أصحاب المشروع التفتيتي كانوا يتابعون التطورات لحظة بلحظة، وقد ركبوا الموجة التي امتدت بإشراف خارجي مباشر، واستطاعوا توجيه الدفة بما يخدم مصالحهم ويعزز سيطرتهم عبر البوابة «الإخوانية» التي افتضح أمرها بفضل الصمود السوري، وما أعاد خلط الأوراق من جديد، فعاد الحراك إلى الشارع المصري الذي رفض مصادرة ثورته، واستطاع الإفادة من الصمود السوري والبناء عليه، فخسرت واشنطن

> إنّ الإعصار الذي بدأ في تونس وامتد إلى مصر وليبيا لم يكن إلا المقدمة الموضوعية المطلوبة لتهيئة البيئة الاستراتيجية للانقضاض على سورية لأنها عقدة العقد في طريق استباحة المنطقة

الرهان عندما تخلت عن أبرز حلفائها في سبيل إكساب كذبة «الربيع العربي» الصدقية المطلوبة والانتقال بها إلى سورية، أي أنها ضحت بحسني مبارك ونظام كامب ديفيد لتتمكن من الانقضاض على الخصم الألد سورية وتنتقم من نظامها المقاوم الذي تعامل مع الواقع الجديد برباطة جأش وثقة عالية بالنفس تستند إلى استراتيجية محكمة تحذف من قاموسها ردود الأفعال المتهورة، وترسم الطريق الواضح لبلوغ الانتصار ببراعة دفعت أطراف العدوان إلى مزيد من التعري وإسقاط الأقنعة من جراء الإخفاقات المتتالية في هذه الحرب المفتوحة، وبخاصة بعد إصدار العديد من المراسيم والقوانين الكفيلة بتلبية كل ما قيل عنه مطالب شعبية محقة، ومع مرور الوقت وانقضاء الأسابيع والأشهر التي حددوها على نحو مسبق لانهيار الدولة السورية، تبين أن الدولة أقوى بكثير مما اعتمدوه في حساباتهم، فزاد حقدهم، وأعماهم حب الانتقام والعجز عن الاعتراف بالعجز عن رؤية الأخطاء الكارثية التي يرتكبونها، وبدلاً من مراجعة الحسابات كان التهور والاندفاع عنوان تكتيكاتهم السياسية والدبلوماسية والعسكرية، وفي الضفة المقابلة كانت استراتيجية الصمود السوري المبنية على سحب الذرائع والإصرار على عرض الحقيقة والاستناد إلى إرادة الشعب السوري، وتفعيل قنوات الاتصال مع جميع مكوناته بما في ذلك ما تم تسويقه على أنه بيئة حاضنة للجماعات المسلحة التي تبين أن قسماً كبيراً منها قد تحول إلى بيئة حاضنة تحت وطأة الترهيب والخوف، ولا شك في أن الجرائم اليومية التي كانت ترتكبها العصابات المسلحة وتروّجها على مواقع التواصل الاجتماعي لشل إرادة المجتمع السوري ومصادرة قراره ساهمت في تحول تلك البيئة من بيئة حاضنة بالإكراه إلى بيئة نابذة بالضرورة، ولم تضيع القيادة السورية هذه الفرصة بل سارعت إلى استثمارها والبناء عليها فصدرت عدة مراسيم للعفو لتشجيع من أضلوا الطريق على العودة إلى حضن الوطن، وبالتوازي اتسعت المصالحات الوطنية التي ينظر إليها القسم الأعظم من الشعب السوري على أنها المعادل الموضوعي للمبادرات التي طرحت لإيجاد حل سياسي وتبين أنها مناورة لإطالة زمن سفك الدم السوري، وأمام العجز المركب العسكري والدبلوماسي اضطر الأصيل الصهيوني والوكيل المفوض التركي إلى التدخل العسكري المباشر، وبخاصة بعد الإنجازات الميدانية والنوعية وتطهير القصير، ثم الانتقال إلى توسيع النطاق الآمن حول دمشق ومنه إلى تطهير قارة ودير عطية والنبك والاتجاه نحو القلمون واستعادة السيطرة على يبرود وفليطة ورأس المعرة وتضييق الخناق على المسلحين في ما تبقى من بلدات القلمون ، وقطع غالبية شرايين الإمداد وطرق التواصل الفرعية والرئيسة مع الحدود اللبنانية سواء في منطقة القلمون أو عن طريق وادي خالد بعد تطهير الزارة وقلعة الحصن، وأمام هذا الانهيار الدراماتيكي في صفوف الجماعات الإرهابية المسلحة، وللانتقام من الجيش والشعب على التفافهما حول قيادة الوطن جاء التدخل العسكري التركي المباشر في شمال اللاذقية وتقديم الإسناد الناري وأشكال الدعم اللوجستي كافة للمسلحين ودفعهم إلى ارتكاب أفظع الجرائم في مدينة كسب وما حولها لتخفيف ألق الإنجازات العسكرية في القلمون وقلعة الحصن، ومحاولة تشتيت جهود الجيش الذي تعامل وفق خطة محكمة مع الجبهات الجديدة المفتوحة بالتزامن في كل من ريف اللاذقية وشمال شرق حلب والمناطق الفاصلة بين محافظتي حماة وإدلب، واستطاع امتصاص الموجات المتتالية لهجوم المسلحين وإقامة نقاط تثبيت وتمركز والانطلاق إلى مرحلة الهجوم المعاكس وتحقيق إنجازات نوعية على جميع الجبهات بعيداً عن تكتيكات الانتقام التي تتطلب الرد على كل استفزاز بمثيله، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: أيهما أكثر جدوى لو أن الجيش العربي السوري اعتمد ردود الأفعال الآنية على العدوان التركي وقبله «الإسرائيلي» وانجرَّ إلى مواجهة مفتوحة تترك المنطقة برمتها على كف عفريت، أم اعتماد إستراتيجية الانتصار التي تمنع العدو من فرض زمن الحرب ومكانها، وتعمل على سلبه كل أوراق القوة وبالتالي تفريغ عدوانه ومغامراته من القدرة على تحقيق الأهداف؟

كانت الاستراتيجية التي اتبعها الجيش العربي السوري أكثر مردوداً وهدفية وعلى مختلف الصعد والميادين، وهذا من أسباب الانتصار السوري، كما أن غريزة الانتقام والتهور في ردود الأفعال لدى أطراف التآمر والعدوان راكمت إخفاقات متتالية فوق الإخفاقات الميدانية اليومية التي تمنى بها العصابات الإرهابية المسلحة على امتداد الجغرافيا السورية، وهذا بدوره سيسرع في الحسم الميداني وسيسقط كل غشاوة أردوا تعميمها لطمس الحقيقة التي غدت واضحة وضوح الشمس، فما تواجهه سورية باعتراف كل من لديه ذرة من عقل هو الإرهاب الممنهج العابر لحدود الدول والقارات، وهي تواجه هذا الإرهاب نيابة عن العالم أجمع، وإذا كانت البراغماتية الأميركية تمنح إدارة أوباما القدرة على الانعطاف عندما تريد، إلاّ أن الانعطاف السريع المتوقع كفيل بإلقاء الكثير من حلفاء واشنطن وأزلامها من القاطرة وتركهم يواجهون مصيرهم في مواجهة شعوبهم التي لن تغفر لمن تاجر بدماء الأبرياء.

* باحث سوري متخصص في الدراسات الجيوبوليتيكية
dr.hasanhasan2012@gmail.com